الدّراسات المقارنة الجزائرية المعاصرة وقضايا السّرديّات الثّقافيّة في الرّواية الجزائرية

The Contemporary Algerian comparative studies and the issues of cultural narratives in the Algerian novel

د.هجيرة بوسكين[1]

[1] جامعة يحيى فارس – المدية – (الجزائر) البريد الإلكتروني: hadjira.bousekkine@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/04/23 تاريخ القبول: 2021/08/31 تاريخ النشر: 2021/12/23

ملخص:

إنّ المتتبّع لمسار التّحوّلات التي شهدتها الرّواية الجزائرية سيلاحظ وجود توجّه عام من قبل جيل من الرّوائيين الشّباب إلى تناول قضايا هي من صميم اهتمامات السّرديّات الثّقافيّة، مثل هجنة الهويّات، والتّمثلات، وقضايا الآخر، وغيرها من المواضيع التي تعدّ اليوم من أبرز مباحث الدّراسات المقارنة الجزائرية المعاصرة، يرتكز هذا النّوع من السّرديات على توظيف حقول معرفيّة مختلفة تنصهر معا لتشكّل البنية النّصيّة والثّقافيّة لنصوص روائية تعدّ فضاءً مناسبا لبروز نوع جديد وحديث من الدّراسات المقارنة الجزائرية.

الكلمات المفتاحيّة: قضايا، الدّراسات المقارنة المعاصرة، السّرديّات الثّقافيّة، الرّواية الجزائرية، تمثّلات.

Abstract

The Tracer of the path of the changes that the Algerian novel has witnessed, will notice a general tendency on the part of a generation of young novelists to address topics and issues that are at the heart of the cultural narrative concerns, Such as hybrid identities, representations, and the issues of the "other", the authority of patterns, and other topics that are today considered one of the most important topics of the Algerian comparative studies.

المرسل المؤلف: د.هجيرة بوسكين

Keywords; Issues; Contemporary comparative studies; Cultural narratives, Algerian novel; Representations.

1. مقدمة:

يتحتّم على الدّراسات المقارنة الجزائرية اليوم، في ظل ما يعيشه العالم من انفتاح على الثّقافات تداخلت فيه الهوّيات بفعل التّواصل والتلاقح العالميين، أن تخوض غمار القضايا المستجدّة وأن تساهم في دراسة النّتاجات الأدبية والثّقافية للشّعوب دراسة مقارنة تظهر ما هو مشترك بينها، وأن تتجاوز الدّراسات المقارنة المعاصرة أطر المقارنة التّقليدية بين الآداب لتجيب عن القضايا والأسئلة الثّقافيّة الرئيسية للمجتمع العربي في هذه المرحلة الحاسمة من تطوّره. وفي مقدّمة المواضيع والمباحث التي ينبغي للدّراسات المقارنة الجزائرية أن تعالجها، تلك القضايا التي أفرزها ظهور نوع جديد من السّرديات البديلة التي انفتحت على النّقد الثّقافي والدّراسات الثّقافية، فظهرت بذلك نصوص روائيّة ما بعد كولونيالية تتبنّى "ثقافة الاختلاف" واستراتيجيّات "الخطاب النّقيض" باعتباره شكلا من أشكال الردّ بالكتابة على ثقافة التّمركز وخطاب الهيمنة، وهو ما أثرى قيمة السّرد بتوظيف مرجعيّات ثقافية مرتبطة بجوانب من نظرية الهويّة وأشكال من المقاومة الثّقافية.

من هنا، حاولت الدّراسات المقارنة الجزائرية اليوم مساءلة النّصوص محل المقارنة مساءلة ثقافية، باعتبار أنّ كلّ نص هو نتاج ثقافة معينة نما وتغلغل داخل منظومتها واصطبغ بسماتها الثّقافية، فعبّر بذلك عن هويّة هذه الثّقافة وناقش إشكالاتها المختلفة. ولعلّ من أهم القضايا التي برزت على ساحة الدّرس الثّقافي والمقارَن مع ظهور آداب ما بعد الكولونيالية، تلك القضايا التي ارتبطت بالسّرد الثّقافي والأدب النّسوي والغيريّة وتمثّلات الآخر.

شكّلت علاقة الأنا"بـ"**الآخر**" قضية جدليّة تناولها الفلاسفة والكتّاب والرّوائيون وأبرزوا أهميتها لما تقتضيه من انفتاح على قضايا **التّفاهم والحوار والتّبادل والتّواصل والاختلاف** التي تعدّ من أبرز اهتمامات الدّراسات المقارنة المعاصرة، وهي قضايا ترتبط بالفاعلية الإنسانية في تجلّياتها الاجتماعية والسّياسية والنّفسية والثّقافية التي عكفت النّصوص السّردية المعاصرة على طرحها ومناقشتها، ذلك أن

العلاقة النّاجمة عن التقاء وتفاعل ذاتيْن أو ثقافتين مختلفتين لا تخلو من المآزق والإشكالات والالتباسات والغموض.

لقد كان لحضور" الآخر" ضمن خطابات أضمرت الكثير من الأنساق الثّقافية في النّصوص الرّوائية الجزائرية، دور في التّأسيس لوعي إبداعي جديد قام باستثمار العناصر الثّقافية التي أنتجها المجتمع العربي، فخلق بذلك أبعادا جديدة للكتابة الرّوائية أبعدتها عن الطّرح الكلاسيكي التّقليدي عندما عكفت على سرد "الآخر" ونقل خطاباته الحاملة لهويّة مختلفة وثقافة مغايرة وإيديولوجيا قد تتعارض إلى حد بعيد أو قد تتوافق مع فكر "الأنا" العربي، ولكنها رغم ذلك ستساهم في خلق فضاء هجين تلتقي فيه الثّقافات وتتحاور فيه الأصوات المختلفة داخل العالم الرّوائي الذي يظلّ عالماً خاضعا لسلطة النّسق وهيمنة المتخيّل مهما حمل من مرجعيّة تاريخية واقعية.

من هنا سعت الرّواية الجزائرية إلى مواكبة ما استجد من مفاهيم وقضايا معاصرة، متّخذة من **السّرديات الثّقافية** نمطا جديدا في الكتابة تستطيع من خلاله التّعبير عن الرّاهن الجزائري بما فيه من قضايا ثقافية واجتماعية شائكة، هي وليدة عصر"ما بعد كولونيالي" عرف انفتاحا كبيرا على الحضارات والثّقافات التي راحت تتحاور فيما بينها، ممّا سمح بخلق فضاءات للهجنة داخل المجتمعات.

ولعلّ من أهم النّصوص السّردية الجزائرية التي عبرّت عن ذلك التّحول الذي شهِدته الكتابة الرّوائية الجزائرية، ما كتبه "**واسيني الأعرج** "و"**عمارة لخوص**" و"**بشير مفتي**" و"**ياسمينة صالح**" و"**الحبيب السّايح**". الّذين تناولوا قضايا من صميم اهتمامات السّرديات الثّقافية مثل: سرد المنفى والسّيرة الذّاتية وسلطة الأنساق وتمثّلات الآخر المختلف.

وعليه، يحاول هذا المقال الإجابة عن الإشكالية الآتية: **فيم تتمثّل أهم قضايا الرّواية الجزائرية التي تشكّل مجال اهتمام الدّراسات المقارنة الجزائرية حاليا؟ وكيف ساهمت السّرديات الثقافيّة في جعل النّصوص الرّوائية الجزائرية المعاصرة مجالا سرديّا ثقافيا ملائما لميلاد دراسات مقارنة جزائرية ذات رؤية جديدة تواكب مستجدات العصر؟**

من أجل الإجابة عن هذه الإشكاليّة، توقّفنا بدايةً عند أهمّ المفاهيم المتعلّقة بالسّرديّات الثّقافية، لننتقل بعد ذلك للحديث عن قضاياها، من خلال تناولنا لمفهوم الهجنة والنّسق والمسكوت عنه وأشكال الصّراع مع الآخر في الرّواية الجزائرية.

ولمناقشة مختلف القضايا الثّقافية والفكرية والاجتماعية والسّياسية التي تستهدفها السّرديّات الثّقافية، وقع اختيارنا على بعض النّماذج الرّوائية الجزائرية المعاصرة التي اتجهت إلى تناول مواضيع ذات طابع ثقافي يعبّر عن الرّاهن والواقع الجزائريْن، اتّخذناها أمثلةً لدراسة قضايا الهويّة والاختلاف الثّقافي والهجرة والصّراع مع الآخر.

2. مدخل إلى السّرديات الثّقافية:

ظهرت في سياق إعادة قراءة الأسس المركزية للبنيوية وتفكيكها، نماذج جديدة تختلف عن الشّعرية، مجاوزة لأفقها البنيوي تستلزم مراجعة وإعادة النظر في الخلفيّات المعرفية المؤسّسة للنّظرية السّردية. ففي مقابل اتساع طبيعة السّرد التّعبيرية والثّقافية والرّمزية، اختزلت السّرديات طبيعة السّرد في بنيته الشّكلانية، ومن جهة أخرى، وبسبب ارتهانها إلى النّموذج البنيوي، انتهت السّرديات إلى تقليص دينامية النّص في المستوى اللّغوي، بحيث تختزل هويّة السّرد إلى مجرّد وحدات لسانية وجمل نحوية تخضع للوصف اللّساني، وبذلك ستضحّي بمرجعيات السّرد الدّلالية والرّمزية والثّقافية والتّأويلية.

هذه الممارسة الاختزالية المحايثة لواقع السّرديات، دفعت بالنّظرية الثّقافية إلى البحث عن آفاق جديدة تتجاوز المستوى اللّساني البنيوي لمفهوم السّرد، ذلك أن السّرد ليس مجرّد صيغ للتّلفظ « إنه يمثّل خطاب الذّات إلى العالم،يقوم بوظيفة الوساطة الرمزية، بمعنى أنه كفعل رمزي يتوسّط التّجربة الزّمانية الإنسانية ». (ريكور، 2006، ص.20)

لا يمثل السّرد إذاً مجرد خاصّية نصية مكوّنة للخطاب الأدبي، بل يمكن اعتباره الشّرط الضّروري والحتمي للّغة والمعنى والمعرفة، معرفة الذّات والعالم . إنّ هذه الطّبيعة الكليّة للسّرد تستدعي تقديم تصوّر معرفي يدرج السّرد ضمن أنساق الثّقافة والمتخيّل والتّاريخ، ويكشف ترابطاته الجدليّة ببنيات القوّة والسّلطة .

وباستحضار المرجعية الثّقافية، نرى أن السّرد أكثر من مجرّد مظهر لفظي للخطاب.إنه «تشكيل عالم متخيّل، تحاك ضمنه استراتجيات التّمثيل، وصور الذّات عن ماضيها وكينونتها وتندغم فيه أهواء، وتحيّزات، وافتراضات تكتسب طبيعة البديهيات، ونزوعات وتكوينات عقائدية يصوغها الحاضر بتعقيداته بقدر ما يصوغها الماضي بمتجلّياته وخفاياه.. كما يصوغها بقوّة وفعاليّة خاصّتين، فهم الحاضر للماضي وأنهاج تأويله له». (أبو ديب، 1997، ص.16)

من هنا، فإنّ ما يحدّد طبيعة السّرد هو طبيعته غير اللّسانية، فهو من حيث الجينيالوجيا نظام **عبر تاريخي** يمتدّ أفقيّا في الماضي وفي كل الأشكال القديمة، في الأسطورة والخرافة والملحمة والمرويّات الشّعبية، وهو من حيث الأنثروبولوجيا نظام **عبر ثقافي** يمتدّ عموديا في كل الثّقافات والمجتمعات والجماعات.

هذا العمق الرّمزي الضّارب في جينيالوجيا المتخيَّل، هو ما يجعل السّرد أكثر من مجرّد لعبة لغوية. إنّه تمثيل تجربة وبناء استراتيجيات بتوسّل وساطات استيطيقية .

من هذا المنطلق، ظهرت مقاربات ديناميّة جديدة تقارب السّرد في وظيفته غير اللّسانية، هي نتيجة انفتاح النّظرية السّردية على تحليل الخطاب وعلى الشّعريات الثّقافية والدّراسات النّسوية والنّظرية ما بعد الكولونيالية.

لقد أدّى انخراط رائد الشّعرية **"تزيفيطان تودوروف"** في دراسة الأفق الثّقافي والتّاريخي الجديد ،بعد تعرّفه على أعمال النّاقد الثّقافي" **إدوارد سعيد** "، إلى انتقال الاهتمام من القضايا اللّسانية للنّص إلى قضايا التّمثيل والغيريّة الثّقافية وصور الآخر، وقد كانت البداية مع كتاب" **فتح أمريكا**" الذي يعدّ عملا رئيسيا في مجال تحليل الخطاب، فقد تناول بشكل مباشر وظيفة وقوّة الكتابة في الوضع الكولونيالي.

بهذا الوعي التّاريخي والثّقافي يقطع **"تودوروف"** المسافة بين جماليات السّرد إلى سياسات التّمثيل وبناء الآخر، ومن الشّعرية، إلى تاريخ الأفكار والدّراسات الثّقافية والأونثروبولوجية، حيث يحلّل تصوّر "الإسبان" للهنود، في سياق ثقافي وتاريخي لا تغيب عنه الشّعرية، ولكنها تحضر هنا بعيدا عن الأطر البنيوية ضمن سياق إنساني يجمع بين التّحليل الثّقافي والتّاريخ والتأويل.

توالت بعد ذلك الدّعوات النّقدية والمعرفيّة التي فتحتها **الدّراسات الثّقافية** والدّراسات **ما بعد الاستعمارية**. مع جهود كل من "**إدوارد سعيد**" و"**هومي بابا**" و"**سبيفاك**" وغيرهم. لتصبح **السّرديات الثّقافية** نتيجة توأمة معرفيّة بين السّرد والنّقد الثّقافي عموما، وذلك بالانتقال من سؤال **سياسات الهويّة إلى سياسات الاختلاف**، أي فتح الباب أمام جملة من المباحث والقضايا التي يتشابك فيها السّرد مع تمثيلات السّلطة والقوّة والهيمنة والهويّة والآخر والعنف والجنوسة وغيرها...

تلك كانت بعض البدايات الأولى لميلاد **سرديات ثقافية** تهتم فيها القراءة الثّقافية بالحفر في البنى النّسقية المضمرة للنّصوص الرّوائية وتفكيك سياسات التّمثيل بما يسمح بإبراز بؤر إنتاج المعنى وزحزحة مراكز إنتاج الصّور والتّمثّلات، باستكشاف مضمراتها الثّقافية والإيديولوجية المبثوثة بشكل واعٍ أو غير واعٍ، حيث يتم استحضار سياقات الهوّية واشتباكات المتخيّل والسّلطة في التّأويل.« إن اعتبار السّردية نسقا تشييديّا تبرّره في نظرنا الضّرورة المعرفيّة والاجتماعيّة، وتبرز في حاجة النّقد كخطاب فكري إلى إنتاج المعرفة وتشييد الوعي والمتخيّل الاجتماعي ونقده عبر الاشتغال على النّصيّات والخطابات، وهو ما يفرض توسيع مفهوم السّردية لإنجاز دراسات مقارنة بين أنساق الفهم والتّأويل في السّرد العربي، وبين ما يناظرها في الخطاب الفكري والفلسفي والإيديولوجي.» . (بو عزّة، 2014، ص.40)

لقد أدّى ميلاد السّرديات الثّقافية إلى بروز نقلة نوعيّة وتحوّل مهمّ في آليات الخطاب النّقدي اليوم، إذ لم يعد الخطاب النّقدي مجرّد خطاب نسقي يتعالى على شروط التّاريخ وسياسات الرّاهن، بل هو بحكم وظيفته النّقدية بالمعنى الجدلي في النّظرية النّقدية لمدرسة فرانكفورت، خطاب اجتماعي يقوم بإنتاج معرفة اجتماعية تنخرط في أسئلة المجتمع الشّائكة بفكر نقدي متحرّر من أشكال السّلطة والهيمنة، بحيث يقتحم المناطق الخطرة للنّقد الثّقافي وما بعد الكولونيالي، فيعيد كتابة التّاريخ من منظور نقدي يكشف المسكوت عنه في الذّاكرة، ويستنطق سياسات التّمثيل في صراع القوّة والصور، وفي تفكيك وتحليل الهويّات الهجينة، والتّحليل الدّقيق لكشف سلطة الأنساق. ولعلّ هذا ما جعل الدّراسات المقارنة اليوم تتوسّل النّقد الثّقافي في محاولتها البحث عن روح جديدة وآليات نقدية حديثة تمكّنها من استنطاق نصوص سردية ثقافية

أصبحت تستعصي على النّقد بتصوّراته وآلياته ومرجعياته القديمة. كلّ ذلك دعا إلى ضرورة النّظر إلى الدّراسات النّقدية والمقارنة اليوم برؤية حداثية جديدة تتماشى مع مستجدات العصر.

3. قضايا السّرديات الثّقافية في الرّواية الجزائرية المعاصرة: هجنة الهويّات وجدل الصّراع مع "الآخر":

إن المتتبّع لمسار التحوّلات التي شهِدتها الرّواية الجزائرية، سيلاحظ وجود توجّه عام من قبل جيل من الرّوائيين الشّباب إلى تناول مواضيع وقضايا هي من صميم اهتمامات السّرديات الثّقافية، ترتكز على حقول معرفية مختلفة، وتوظّف فنونا وأجناسا أدبية تنصهر معا لتشكّل البنية النّصية والثّقافية لنصوص روائية تعدّ فضاءً مناسبا لنوع جديد من الدّراسة النّقدية والمقارنة، يسمح فيها النّقد الثّقافي بكشف حركة **النسق** بوصفه مضمراً يتحرّك ضمن الخطاب على الضّد مع المعلن الواعي، وتكمن أهميّة البحث عن المضمر والمسكوت عنه في هذا النوّع من الكتابات السّردية الثّقافية في كونه يساهم في إعطاء فكرة صحيحة عن الذّات والآخر من خلال البحث عمّا لا يقال بصورة علنيّة ضمن خطابات الآخر ويضمره لغايات إيديولوجيّة ثقافية ولكنّه في الوقت نفسه يشكل جزءاً مهماً من **هوِّيته الثقافية**.

ومن جهة أخرى، فإن أهمية الدّراسة الثّقافية لهذا النّمط من النّصوص الرّوائية الجزائرية ضمن **النّقد الثّقافي** تبرز من حقيقة أنَّ الثّقافة تُعينُ على تشكيل وتنميط التّاريخ، وأفضل ما تفعله الدّراسات الثّقافية هو وقوفُها على عمليات إنتاج الثّقافة وتوزيعها واستهلاكها، وهذا يستحضِرُ نظرية الهيمنة التي طرحها **غرامشي**، والتي يؤكِّدُ فيها أنّ السّيطرة لا تتمُّ بسبب قوّة المسيطِر فحسب، ولكنها أيضاً تتمكّنُ مِنّا بسبب قدرتها على جعلنا نقبل بها ونسلّمُ بوجاهتها، لذلك وسّعت الدّراسات الثّقافية المجال ليشمل عدة مواضيع توجَّه الرّوائيون الجزائريون إلى تناولها وتحليلها مثل قضايا: العرق والجنس والجنوسة والتعصّب الدّيني والطّائفي وصراع الأقلّيات .

1.3 في مسألة هجنة الهويّات والصّراع مع الآخر:

تعتبر "**الهجنة**" لعبة الهويّات المركّبة التي تواجه الخطاب الأصولي عبر النّهل من ثقافات متعددة. وهو ما يتيح إمكانية تجاوز "**ماهوية** " الهويّة نحو آفاق ثقافية رحبة أساسها التّفاعل المستمر. وما دامت

الهجنة تمجّد التلاقح والتّواصل، فإنّها بذلك تدحض علاقة الصّراع والفرقة والانقسام بين الأنا والآخر. ولأنّ الهويّة ليست ثابتة وسكونيّة، بل تخضع لمنطق التّحوّل والتغيّر، فإنّ الهجنة بذلك هي مفهوم مناوئ لمفهوم الهويّة الصلبة التي تصنّف نفسها نقيضا للآخر وتقيم الحواجز بين العوالم الثّقافية، خاصة أن « جميع الثّقافات، جزئيا بسب (تجربة) الإمبراطورية، منشبكة إحداها في الأخريات، ليست بينها ثقافة منفردة نقيّة محضة، بل كلّها مهجّنة مولّدة، متخالطة، متمايزة إلى درجة فائقة، وغير واحدية .» (سعيد، 2004، ص.85)

وعليه لا تخضع **الهجنة** لسلطة نسق واحد ولا تدين لقيم ثقافيّة ثابتة، فهي تداخل وتلاقح بين العوالم تنزاح فيه الهويّة عن كلّ ما يوصل إلى الصّدام، فقد غدت اليوم جميع الثّقافات متمازجة تعيش حالة من " **التهجين**" فالعالم اليوم مكون من هويّات كثيرة تتفاعل بشكل منسجم حينا ومتنافر حينا أخر، إلا أنّها تبحث جميعها عن وجود إنساني مشترك لا يقوم على السّيطرة والإرغام، وجود مبني على التّواصل بين الشّمال والجنوب والشّرق والغرب، وهو ما يسمح بالانفلات من المنظور الإقصائي. من هنا تهدف الهجنة إلى تقويض نزعة التّمركز الثّقافي حول الذّات والوطنيّة، للعبور نحو التّلاقي بين الجغرافيات والثّقافات والقوميّات، لتأسيس أفق إنساني يتحرّر من وهم الانتماء المنغلق المعادي للحوار.

تُبقي حركيّة الهجنة الهويةَ متّسمة بطابع الانفتاح، قادرة على التّجدّد لأنّ الهويّة ليست بناءً جامدا فهي تخضع للتّحول والتّغير والبناء المستمر والمتواصل دون انقطاع « من المفيد التّأكيد على عدم استقلالية المستعمر والمستعمَر عن بعضهما، فالهويّات من كلا الطرفين ليست مستقرّة، وفي حالة تدفّق مستمر. وهذا يوهن ادعاءات كلّ من المستعمرين والقوميّين بوجود ذات موحّدة » (لومبا، 2007، ص.182)

ترتبط **الهجنة** وفق ما يراه "**إدوارد سعيد**" بالهويّة في تجاوزها انعزاليتها وتمركزها حول الذّات، وهو ما يفسّر تركيزه على إبراز مزالق القومية المنغلقة وإصراره على ضرورة الاندماج في الهويّة الإنسانيّة. وبرغم أن هذا الاندماج هو في الحقيقة مطلب صعب التّحقيق على أرض واقع مفعم بالتّناقضات والتّوتر والصّراع والرّغبة المحمومة في السّيطرة الاقتصادية والسّياسية والثّقافية، إلاّ أنه في الوقت نفسه لا يتعارض مع تشديد "**إدوارد سعيد**" على **التّعددية الثّقافية** التي تشي بأنّنا إزاء هويّات لا هوية منفردة واحدة.

من هنا يمكننا القول إنّه برغم الاعتراض الذي تحمله **الهجنة** على منطق الثنائيّات من قبيل: الأنا والآخر، الشّرق والغرب، الشمال والجنوب بدعوى الاندماج في عالم إنساني واحد، إلاّ أنّ الهويّة لا يمكنها أن تتشكّل وتُبنى إلاّ عبر الآخر إذ « لا يمكن أن توجد بمفردها من دون ثلّة من النّقائض والنّوافي والأضداد، فالإغريقيون يقتضون البرابرة، والأوروبيون يقتضون الأفارقة والشّرقيين، والعكس صحيح دون ريب » (سعيد، 2004، ص. 111)

ورغم أن **الهجنة** صارت مطلبا إنسانيا في عالم ينحو نحو **الصّراع بين الأنا والآخر**، خاصّة مع بروز مواقف متطرّفة ومتعصّبة تتّجه نحو التّنافر والفرقة، تارة باسم الدّين، وتارة باسم العرق، فإنها تظلّ رؤية مثاليّة كونية لتلاقح الثّقافات وتفاعلها حول أفكار محدّدة خاصّة بالعدالة والتّسامح ونبذ الاستبداد والدّعوة إلى مقاومة الهيمنة والاستعمار والكولونيالية، في زمن يعود فيه الاستعمار العسكري والاحتلال المباشر إلى إملاء الإرادة على الشّعوب المستضعفة (صالح،2009، ص. 80) ، وهنا تعود فكرة الصّراع مع الآخر لتطفو على السّطح من جديد .

2.3 قضايا: الهجنة، المسكوت عنه، النّسق والصّراع مع الآخر في الرّواية الجزائرية المعاصرة

بالعودة إلى واقع الكتابة الرّوائية الجزائرية المعاصرة نلاحظ ظهور نمط من السّرديات الثّقافية على نحو كتابات **"واسيني الأعرج" "و"عمارة لخوص"و "محمد بورحلة" و"بشير مفتي" و"ياسمينة صالح" و"الحبيب السّايح"** حاولت تجاوز مرحلة الحساسيّة الجديدة التي ظهرت مع العقود الأخيرة للقرن الماضي (كتابات العشرية السوداء)، « فالتّشكيلات الثّقافية والحضارية الجديدة المتبلورة مع بداية القرن الحالي خلقت نوعا روائيا جديدا ينتمي إلى ما يسمّى بالسرد الثقافي الذي يختلف تماما عن سابقه ليس على مستوى التقنيات، بل على مستويات أخرى ارتبطت بظهور مفاهيم حياتية جديدة كمفهوم الهجنة وقضايا الغيرية والاختلاف الثقافي، فكان التّمثيل السّردي هو أنجع الطّرق والوسائل الجمالية تجسيدا لهذه النقلة، غير أن هذا التّمثيل لابد له من تمثيل يشحنه ويقدم له المادة الثّقافية والرّمزية للنّص السّردي عموما والرّوائي على وجه خاص، وهو التّمثيل الثّقافي. » (بوحالة، 2016، ص.3-4)

هذا ما أدّى أيضا إلى وجوب تطوير المقاربات والمناهج النّقدية التي ترنو إلى قراءة هذا النّص الرّوائي المعاصر، لتجترح الدّراسات السّردية مفهوما أكثر مرونة واقترابا من هذه المرحلة الرّوائية المعاصرة، وهو مفهوم السّرديات الثّقافية

لقد بدأت الممارسات النّقدية اتجاه الرّواية الجزائرية تخرج من دائرة **السّرديات البنيوية** المحايثة من خلال دعوات نقدية ومعرفية فتحتها **الدّراسات الثقافية** والدّراسات **ما بعد الاستعمارية**. و لعلّ من أهمّ ما تتميّز به هذه النّصوص الرّوائية المعاصرة ارتباط "المسكوت عنه" في خطابات الآخر فيها **بخطاب الهيمنة** الذي لطالما عبّر عن تفوّق الإنسان الغربي وتحضّره مقابل تخلّف الإنسان الشّرقي وبربريته، وعلى عمق الهوّة الحضارية والفكرية بين العالمين الغربي والشّرقي، الأمر الذي يبرّر دواعي استعمار الشّرق العربي في غالب الأحيان. لقد نقلت لنا خطابات الآخر في هذه النّصوص نموذجاً نمطياً عن **الآخر الغربي** المنفتح والمتسامح دينياً مقابل عصبيّة وتطرّف **الأنا العربي**، وسعت إلى تكريس هذا النّسق في ذهن المتلقّي لتحقيق **نظرية الهيمنة**.

وفي مقابل هذا الطّرح، يجد المتتبّع للممارسات الرّوائية العربيّة عامة والجزائرية بشكل خاص، والمحلّل لموقع وحقيقة "المسكوت عنه" في خطابات "الأنا" من خلال تفسير وقراءة مساحة الفضاءات البيض والمغيبة في الخطاب السّردي أن "الأنا" يرتبط بمجموعة من عوامل القمع والمصادرة والكبت الدّاخليّة والخارجيّة النّاجمة عن عوامل القهر السّياسي الخارجي أو عوامل القمع الاجتماعي والسّيكولوجي والجنسي التي تتعرّض لها الشّخصيات الرّوائية داخل بنية المجتمع العربي الحديث.

ولعلّ انعدام فضاءات الحرية في المجتمعات العربية بشكل عام، هو ما جعل خطابات الشّخصيات الرّوائية تبدو ملغّمة بما لا يمكنها البوح به بشكل علني في واقعها المتخيّل مثلما هي الحال في الواقع المعيش. لذلك جاءت الرّواية **الديالوجيّة** لتساهم في تصوير الواقع الإيديولوجي والثّقافي من خلال نقل الرّوائي لمجموع التصوّرات والرّؤى التي تمثّلها الشّخوص الرّوائية بصورة مكثّفة يتم من خلالها تقديم جميع الرّؤى على قدر من المساواة.

وإن اختلفت الحمولات الإيديولوجية التي يضمرها خطاب الآخر عن خطاب الأنا، والغايات التي يرومها الرّوائي من وراء هذه **الأنساق المضمرة**، يبقى "**المسكوت عنه**" في أيّ خطاب سواءٌ أكان للأنا أم للآخر مظهراً من مظاهر وجود صراع خفيٍّ بينهما مع اختلاف هذا الآخر بحسب فلسفة الرّواية وموضوعها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أن نستنتج أن وجود **الأنساق المضمرة** دليل على قدر الحريّة التي تتمتّع بها الشّخصيات الرّوائية داخل الخطاب الرّوائي، كما أنّها تنقل لنا صورة عن السّياق الثّقافي والتّاريخي الذّي يؤطر النّص. ولعلّ مفرزات السّياق هي المسؤولة عن قدر الحريّة الذّي تتمتّع به الشّخصيات، لذلك عكف النّقد الثّقافي على إعادة الاعتبار للسّياق الثّقافي للنّص وللخلفيّة التّاريخية.

وسواءٌ أكان الخطاب ظاهراً معلناً أم رمزياً إحالياً، فهو ضمن الرّواية **الديالوجية** الحوارية يكشف صراع الآراء والأفكار والإيديولوجيات، ويعرض الحقيقة التّاريخية الواحدة من منظورات وأساليب متعدّدة في لحظة واحدة ،مما يجعلها ضمنياً ترفع شعار نسبيّة امتلاك النّاس للحقيقة.

لقد جاءت نصوص روائية مثل"**ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج**، و"**الجنازة" لرشيد بوجدرة**، و"**الأعظم" لإبراهيم سعدي**، و"**متاهات ليل الفتنة" لأحميدة العياشي**، و"**القاهرة الصغيرة" لعمارة لخوص**، و"**إرهابيس" لعز الدين ميهوبي** وغيرها مثقلة بأنساق وتمثيلات مختلفة للآخر والدّين والسّياسة والمثقّف والعنف وغيرها، «عبرّت معظم هذه الأعمال عن الواقع السّياسي والثّقافي الذي عاشته الجزائر فترة التّسعينات وما شهده من عنف وصراع، وهي بذلك لم تستطع التّحرر من سلطة الأنساق الثّقافيـة التي هيمنت على الكتابة الرّوائية الجزائرية فترة التّسعينات، والتي عبرّت في معظمها عن فكرة الصّراع مع الآخر الذّي تحوّل من آخر خارجي إلى آخر داخلي، خلق الصّراع معه أزمة هويّة حادّة عاشتها الذّات الجزائرية». (بوحالة، 2016، ص.6)

وفي الحقيقة إنّ حضور "**الآخر** " ضمن المنجز الرّوائي الجزائري، سواءٌ أكان حضورا سلبيّا بوصفه **العدوّ والمستعمِر** في الرّوايات التي تناولت **الثّورة الجزائرية**، أم كان حضورا إيجابيا بوصفه **المكمّل للذّات في بناء هويّتها الإنسانية**، كما نجده في الرّوايات ذات الطّرح ما بعد الكولونيالي، قد جاء ليعبّر

عن حاجة الذّات الجزائرية للتّعامل مع **الآخر** والتّفاعل معه والانفتاح عليه، وبالتّالي الكتابة عنه وله، وهي حاجة ذات **طابع أنسنيّ** وبُعدٍ أخلاقي وأنطولوجي كما يحدّدُها **إيمانويل لفيناس** في حديثه عن العلاقة بين الذّات والأخر: « إنّ زمنية التّفاعل الإنساني بين الذّات والآخر تسمح بالانفتاح على معنى الغيرية وعلى غيرية المعنى، ولأنه يوجد أكثر من شخصين في العالم، فإننا ننتقل بالضّرورة من المنظور الأخلاقي للغيرية إلى المنظور الأنطولوجي للكلمة. فهناك دوماً ثلاثة أشخاص على الأقل، وهو ما يعني أنّنا مطالبون بالتّساؤل: من هو الآخر؟ ومطالبون بمحاولة التّحديد الموضوعي لما هو غير محدّد ومقارنة ما لا يمكن مقارنته، فلو كان هناك شخصان، فقط، في العالم، لما كانت هناك حاجة إلى محكمة للعدل، لأنّني سأكون دوماً مسؤولاً من أجل الآخر وأمامه، لكن ما إن يوجد ثلاثة أشخاص، حتّى تصبح العلاقة الأخلاقية بالآخر سياسيّة، وتندرج ضمن الخطاب الكلّي للأنطولوجيا. » (طوسكانو، 2003، ص.14-15)

وعليه فإن الأنا بحاجة إلى الآخر ومسؤول أمامه، وهذه المسؤولية تقتضي أن تتنازل الذّات عن وضعيّتها المركزيّة لفائدته، وهذا ما يحدث التّقارب بينهما، ولكنّ هذا القرب لا علاقة له بالتّماهي بين الذّوات، لأنّ كل طرف ينبغي أن يحافظ على خصوصيته الثّقافية واختلافه، فالعلاقة بينهما تكون أفضل بالاختلاف، والاجتماع أفضل من الاندماج. إنّ قيمة الحبّ والتّآخي الإنساني« تتمثّل في استحالة اختزال الآخر في ذاتي، واستحالة حصول التّطابق ضمن المشابهة، ومن وجهة النّظر هذه، فإن قدرتنا ستكون فعّالة حينما نكون اثنين، يستجيب كل واحد منّا لنداء الآخر. (طوسكانو، 2003، ص.14-15)

لذلك نعتبر أنّ اختلاف الآخر عن الأنا هو الذي يؤسّس للفكر التعدّدي الذي يشمل مكوّنات ثقافيّة ولغويّة ودينيّة مختلفة، بينما تعكس هوية ثقافية خاصة تميّز أحدهما عن الآخر، وتفضي إلى اختلاف ثقافي تتحاور فيه الثّقافات والهويّات من أجل بناء عالم إنساني ينبذ الهيمنة والسّيطرة والاستبداد والتّمركز الثّقافي، ويقيم جسور التّحاور بين الأنا والآخر.

ومن ضمن الرّوائيين الجزائريين الذين اقتفوا أثر هذا النهج منطلقين في مغامرة كتابة جديدة، الرّوائي "**واسيني الأعرج**" الذي تمثّل كتاباته تجربة روائية فريدة تخلخل الميثاق السّردي السّائد وتتجاوز التّنميط الأدبي باحثة عن آليات جديدة في الكتابة.

4. تمثلات"الأنا" و"الآخر" في الرّواية الجزائرية المعاصرة:

1.4.تمثّلات"الأنا"و "الآخر" ومسألة الهوية في روايات الهجرة الجزائرية:

لقد فرضت قضيّة **الاغتراب** وموضوع "**الهجرة**" نفسها على الرّواية العربية المعاصرة عموما، والرّواية الجزائرية بصورة خاصّة باعتبارها أحد الرّوافد الهامّة للفكر الإنساني وإحدى أهمِّ مكوّنات الواقع الاجتماعي، النّفسي، السّياسي والاقتصادي للفرد والمجتمع، وباعتبارها أيضا إشكاليّة مرتبطة بحياة فئة عريضة من النّاس يعيشون التّمزّق والضّياع في ديار الغربة التي اختاروها أو فُرِضت عليهم قصرا بسبب ظروف الاحتلال أو الأوضاع الاقتصادية الصّعبة في موطنهم الأصلي.

وكثيرا ما عبّرت الأعمال الرّوائية عن حالة البطل **المأزوم** في غير واقعه، بطلٌ يجد نفسه أمام قوىً طاغية ترتبط بالمكان والسّلطة، ومن هنا تتشكّل لديه **أزمة هوية** حادة سبّبها له هذا الواقع الاجتماعي والثّقافي الجديد، هذا الواقع الذي يهيمن عليه الآخر هيمنة تامّة، فيجد المهاجر العربي الجزائري نفسه ضمن مَناخ ثقافي جديد يضطرّ مجبرا على التكيُّف معه، وهنا تُثار مسألة **الهوية الثقافية** الّتي ترتبط "**بالاستعداد الانفتاحي**" على الثّقافة الغربيّة، وبقدر ما استطاع المهاجر الانفتاح على هذا الواقع الثّقافي الجديد، بقدر ما ازداد **تواصله مع الآخر**.(مهيدات،2008، ص.49).

وفي غياب هذا التّواصل الإيجابي فإنّ **أزمة الذّات** ستظلّ مستمرة، وسيظلّ الآخر مصدر تهديد لها، ومن هنا فقد أصبحت الذّات مهدّدة مرتين: من ناحية المحافظة على أصالتها وهذا يعني التّخلّف عن "**الآخر**" وربّما **الموت**، أو القدرة على التّغيير والانفتاح على "**الآخر**" ممّا يحقّق لها التّواصل والتّعايش معه.

ونحن إذ نرى بضرورة انفتاح المهاجر على ثقافة **الآخر**، فإنّنا لا نقصد بذلك انسلاخ المهاجر الجزائري عن هويته الثّقافية، وهو ما يهدف إليه "**الآخر**" ضمن مركزيته التي تسعى إلى "**غربنة**" الآخر **العربي**، ذلك أنّه يوجد تلازم واضح بين "**الأخرنة**" أو "**التّأخرن**" والنّزعة الاستعمارية, فكلاهما يمارس قوّة

معيّنة مع اختلاف في كيفية ممارسة هذه القوّة، إذ لم تعد القوّة تمارس من فوق (**قوة كولونيالية**) بقدر ما هي فرض لنموذج ثقافي وحضاري على **الآخر**. (جميل شك، 2003، ص. 17)

ولعلّ المتتبّع للأعمال الرّوائية الجزائرية الّتي تناولت موضوع "**الهجرة**"، سيلاحظ أنّ أغلب هذه الرّوايات قد قدمت لنا **الآخر الأجنبي** في صورة **الآخر العنصري** الرّافض لوجود **الآخر العربي** في بلاده، لذلك نجده يستغلّه بكل الطّرق الممكنة.

ومن بين النّصوص الرّوائية الجزائرية المعاصرة التي تناولت موضوع الهجرة وأزمة الهوية التي خلّفها ذلك اللّقاء الثّقافي والاجتماعي بين "الأنا" و"الآخر"، رواية " **كاماراد** " للرّوائي الجزائري **الصّديق حاج أحمد المدعو"الزيواني"** التي تعدّ من النّصوص الرّوائية الجزائرية المعاصرة التي تناولت قضايا الرّاهن وانعكاسات الوجه السلبي للحداثة على الإنسان المعاصر الذي أساء فهمها فحملت له الكثير من الخيبات والأزمات والانكسارات التي دفعت به إلى الهروب نحو المجهول بحثا عن الفردوس المفقود في الغرب .

يقوم البناء الفكري للرّواية على المزاوجة بين قضايا وهواجس الرّجل الإفريقي ذو البشرة السّوداء وقضايا الهجرة غير الشّرعية في إفريقيا وتحوّلات المجتمع الصّحراوي وظاهرة " الحرّاقة" وتشظّي الذّات وأزمة الهوية وغيرها من الأزمات الوجودية و الأنطولوجية.كلّ ذلك يجعل من هذا النّص الرّوائي نصّا يحمل تيمات ثقافية تجعله مجالا خصبا للدّراسة الثّقافية وكشف التّمثّلات الثّقافية .

2.4 الذّات المأزومة: صراع "الأنا" الجزائري مع "الآخر" الجزائري في روايات العشرية السوداء:

إنّ المتتبّع للمشهد الرّوائي الجزائري فترة التّسعينات من القرن الماضي يجد أن معظم النّصوص الرّوائية الجزائرية قد قدّمت لنا تمثيلاً للذّات وللآخر جمع بين تأزّم وعي الذّات وتأزّم وعي الآخر، وقد تشابك هذا الوعي مع إشكاليّة الحوار بين الحضارات بتأثير خلل ربط الإرهاب والتّطرّف بالإسلام وأصوله، إذ نجد عشرات الرّوايات العربية وخاصّة الجزائرية التي عالجت أذى الأصوليّة الدّينية الإسلامية وإسهامها في خلخلة أسس العلاقة بين "الأنا" و"الآخر"، ونذكر منها الرّوايات التي تناولت تاريخ الجزائر فترة التّسعينات مثل:" **فتاوى زمن الموت**"(**1999**) و"**بوح الرّجل القادم من الظّلام**" (**2002**)

لإبراهيم سعدي، "**وطن من زجاج**" **لياسمينة صالح** (**2006**)، و "**سيّدة المقام**" **لواسيني الأعرج**، وبعض روايات **الطّاهر وطار** مثل" اللاز".

قدّمت هذه الخطابات الرّوائية الجزائرية تمثّلات جديدة لكل من "الأنا" و"الآخر"، هي وليدة سياق ثقافي وسياسي وإيديولوجي جديد ارتبط بظاهرة العنف المسلّح التي شهدتها الجزائر فترة التّسعينات من القرن الماضي، والتي أسفرت عن ميلاد شكل جديد من الكتابة الرّوائية العربية عامة والجزائرية بصورة خاصّة، عُرِف بروايات "**المحنة**" **أو** "**العشريّة السّوداء**".

وإذا قمنا بتحليل ظاهرة العنف من المنظور الثّقافي، نكتشف أن التّعصّب للذّات وقناعاتها وأفكارها وتصوّراتها، هو الأرض الخصبة التي تنمو فيها كل أشكال العنف واستخدام القوّة في العلاقات الإنسانية. و**التّعصّب** الذي نعنيه هنا هو: « حالة معرفية تنطوي فيها الذّات على ما أدركته، وترفض أن ترى سواه، أو تمنح غيرها حق الوجود،.... إنّه وضع من الاكتفاء الذاتي الّذي يستغني عن كل ما عداه ولا يتقبل أيّ مغاير له، وبقدر ما تنطوي الذّات على إيمان مطلق بما تراه في هذه الحالة المعرفية، فإنّ إيمانها به يتضمّن معنى الإطلاق الّذي ينفي نسبيّة المعرفة وإمكان الخطأ.» .(عصفور،1994، ص.289)

وعليه نرى أن التعصّب الّذي يُبقي كلّ طرف منغلِقا على ذاته، ومتشبّثا بقناعاته، هو الّذي يولّد مَناخ العنف وثقافته والآراء التي تسوِّغ القتل والاغتيال لاختلاف في الفكرة أو الموقف، وهو الّذي لا يفضي إلاَّ إلى النّبذ والإقصاء والعنف، وحيثما نذهب سنجد حتما أنّ خلف كل عنف تعصّبا للذّات وأفكارها وقناعاتها، لذلك فإن التّعصب– باعتباره حالة معرفية– هو أحد الحوامل الثقافية لظاهرة العنف.

وقد اتّخذت الرّواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، على غرار الرّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية موضوع العنف للحديث عن **الصراع الجزائري/ الجزائري** أو **صراع الأنا الجزائري مع الآخر الجزائري**، ولعلّ من أهمّ النّصوص الرّوائية الجزائرية المكتوبة بالعربية الّتي تناولت موضوع العنف وقامت بتشريحه نجد: رواية " **وطن من زجاج**" لصاحبتها **ياسمينة صالح**.

تؤرِّخ هذه الرّواية لفترة صعبة وحرجة من تاريخ الجزائر من خلال قصة حب بدأت في الطفولة بين بطل الرّواية "لاكامورا" الّذي تكشف لنا الرّواية تاريخ حياته المأساوي، وبين ابنة معلمه وأخت صديقه "النذير".

بطل الرّواية هو تمثيل حي وصادق للذّات المنكسرة، فقد لاحق النّحس والشّؤم والموت حياة البطل منذ ساعة مولده حتّى صار صحافيا مرموقا يبحث عن الموت في رصاصة طائشة تأتيه من شارع أو زاوية أو في مقهى، ماتت أمّه ساعة ميلاده ثم اختفى أبوه بشكل مفاجئ فكفله جده لأبيه الحاج "عبد الله"، وهو رجل من صغار إقطاعي الأراضي، ثم ماتت عمّته المعوّقة الوحيدة الّتي كانت تعوّضه فقدان أمه، دخل هذا الطفل المنحوس "لاكامورا" مدرسة القرية ليجد نفسه منجذبا لمعلم معيّن أحبّه وقرّبه منه وأدخله بيته ليلعب مع ولده البكر "النذير" وأخته الأصغر منهما، والّتي صارت فيما بعد حبيبته:« ... لعلّي استطعت أن أسأل المعلّم ذات مرة، لماذا يهتم بي أنا بالذّات دون بقية الأطفال؟. ابتسم... لعلّه صمت طويلا قبل أن يقول: لأنّك طيّب، ولأنّك تلميذ متفوّق، ولأني أريد أن تكون مختلفا عن كل هؤلاء الّذين يقودون القرية إلى التهلكة.» (صالح، 2006، ص.36)

تعكس شخصيّة المعلّم وعيا عميقا بما آلت إليه أوضاع الجزائر تلك الفترة فهو لم يكن يريد أن يصبح هذا التلميذ النجيب واحدا من هؤلاء الذين يستبيحون دماء الأطفال والنّساء والعجزة دون رحمة، لم يكن يريد أن يصير "لاكامورا" **إرهابيا** يقود البلاد إلى التهلكة.

لم يستطع وطن هش توالت عليه الأزمات أن يحمي أهله، ربمّا ضاق هذا الوطن بقتال أبنائه، لم يكد الجزائري يضمّد جراح الحرب الّتي دامت طويلا مع المستعمِر حتّى جُرِح مرّة أخرى، ولكنّ الجرح هذه المرّة كان أعمق: « كيف نحب وطنا يكرهنا؟ سأله وصمت، ثم غادره.... لم يغادره بمحض إرادته، إنمّا غادره ميِّتا، كان الموت رهيبا وهو يأتي محمّلا بالكلمات الجاهزة، قال عنه زميله. لقد مات في اشتباكات حين كان يطارد جماعة مسلحة!...» (صالح، 2006، ص.8)

5. خاتمة:

انطلاقا ممّا تقدم، ومن خلال استعراضنا لأهم قضايا السّرديات الثّقافية التي تناولتها النّصوص الرّوائية الجزائرية المعاصرة، نخلص إلى جملة من النّتائج نجملها فيما يأتي:

1- أدّى ميلاد السّرديات الثّقافية إلى بروز نقلة نوعية وتحوّل مهم في آليات الخطاب النّقدي اليوم، إذ لم يعد الخطاب النّقدي مجرّد خطاب نسقي يتعالى على شروط التّاريخ وسياسات الرّاهن، بل هو بحكم وظيفته النّقدية بالمعنى الجدلي في النّظرية النّقدية لمدرسة فرانكفورت، خطاب اجتماعي يقوم بإنتاج معرفة اجتماعية تنخرط في أسئلة المجتمع الشائكة بفكر نقدي متحرّر من أشكال السّلطة والهيمنة، بحيث يقتحم المناطق الخطرة للنقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، فيعيد كتابة التاريخ من منظور نقدي يكشف المسكوت عنه في الذاكرة، ويستنطق سياسات التّمثيل في صراع القوة والصّور، وفي تفكيك وتحليل الهويّات الهجينة، والتّحليل الدّقيق لكشف سلطة الأنساق . ولعلّ هذا ما جعل الدّراسات المقارنة اليوم تتوسّل النّقد الثّقافي في محاولتها البحث عن روح جديدة وآليات نقدية حديثة تمكّنها من استنطاق نصوص سردية ثقافية أصبحت تستعصي على النّقد بتصوّراته وآلياته ومرجعيّاته القديمة. كل ذلك دعا إلى ضرورة النّظر إلى الدّراسات النّقدية والمقارنة اليوم برؤية حداثية جديدة تتماشى مع مستجدات العصر.

2- ارتبط استخدام مفهوم **الهجنة** بالدّراسات **ما بعد الكولونيالية**. ويشير هذا المفهوم عادةً إلى خلق أشكال تثاقفية جديدة بين الأنا والآخر داخل نطاق الاحتكاك الذي يخلقه الاستعمار. ويمكن توسيع نطاق هذا المفهوم خارج الفضاء الذي خلقه الاستعمار، أي في الفضاءات الاجتماعية والثّقافية ذات الطبيعة المتنوعة. لا تخضع الهجنة لسلطة نسق واحد ولا تدين لقيم ثقافية ثابتة، فهي تداخل وتلاقح بين العوالم تنزاح فيه الهوّية عن كل ما يوصل إلى الصدام، فقد غدت اليوم جميع الثّقافات متمازجة تعيش حالة من"**التهجين**"، فالعالم اليوم مكوّن من هويّات كثيرة تتفاعل بشكل منسجم حينا ومتنافر حينا أخر، ضمن حركيّة مستمرّة تُبقي فيها الهجنةُ الهويةَ منفتحةً قادرةً على التجدّد، لأنّ الهوية ليست بناءً جامدا فهي تخضع للتّحول والتّغير والبناء المستمر والمتواصل دون انقطاع.

3- إنّ النّصوص الرّوائية الجزائرية المعاصرة، باعتبارها نصوصا ثقافية، قد حاولت من خلال ما تطرقت إليه من قضايا فكرية وثقافيّة أن تلامس الرّاهن الجزائري بإثارة مواضيع تتماشى مع الواقع "ما بعد

الكولونيالي" الذي عرف الانفتاح على قضايا تشكّل محور اهتمام أغلب الدّراسات المقارنة الجزائرية المعاصرة، ويتعلق الأمر بمفهوم الهجنة الذي لا تتضح معالمه وإحداثياته إلا في ضوء الحديث عن الهوية والعلاقة القائمة بين الأنا والآخر، هذه العلاقة التي شهدت الكثير من التحولات بتغيّر السياق التاريخي الذي يؤطرها.

4- الوعي بالأنا في معظم النّصوص الرّوائية الجزائرية يقتضي الوعي بالآخر اجتماعيا وثقافيا، كما أنّ وجود هذا "الآخر" هو شرط ضروري لوجود "الأنا"، ولعلّ ما يثير الإشكال هو أن هذا الاكتشاف ينطوي –من حيث المصطلح والممارسة– على نزعة تمركز ثقافية، وإذا أمعنا النظر في عملية اكتشاف الآخر والكتابة عنه بل وتمثيله في الخطابات الفكرية عامة والإبداعية الروائية بصورة خاصة فإنّنا سننتهي إلى القول إنّ هذه الخطابات الروائية الجزائرية الحديثة هي تعبير جلي عن امتداد وعي "الأنا" إلى "الآخر"، فالاكتشاف وكذا التمثيل الروائي للأنا أو للآخر هو ضرب من ضروب توسّع الوعي وامتداده من حدود الأنا إلى حدود الآخر.

5- "الأنا" في اكتشافها للآخر لا تدرك واقعا جديدا ومباشرا، فكلّ اكتشاف للآخر إنّما يتم عبر توسط المتخيّل والصّور والتّمثيلات التي تكوّنها الثقافة عن "الآخر"، وهو ما يدفعنا إلى القول إنّه ليس ثمّة "اكتشاف" في حقيقة الأمر، فالأنا تجد الآخر كما كانت تريده أن يكون، وإن وجدته على غير ذلك، فإنها تجهد من أجل تحويله ليكون على الصورة التي رسمتها له، وعلى الوضعية التي تريد أن يكون عليها.

6- لقد جسّد تمثيل "الأنا" و"الآخر" في رواية "**وطن من زجاج** " **لياسمينة صالح** حجم الصّراع الدّموي الجزائري/ الجزائري فترة التسعينات من القرن الماضي، ونقصد بهذا الصّراع الدّموي الدّاخلي تناول الكاتبة لظاهرة "الإرهاب" والعنف المسلح الذي جعل المجتمع الجزائري ينقسم إلى قسمين يتصارعان فيما بينهما اجتماعيا وسياسيا وثقافيا ودينيّا، الأمر الذي جعل الهويّة الجزائرية تعرف أزمة حقيقيّة سببُها ميلادُ هذا **الآخر الجزائري الجديد** المختلف والمتطرّف دينيّا . نتج عن هذا الصراع الدّموي بين الأنا الجزائري والآخر الجزائري تصدّع كبير في المنظومة الثقافيّة والاجتماعيّة والفكرية الجزائرية، وحالة من الفوضى و عدم الاستقرار التي كانت لها تداعياتها على كل ميادين الحياة مستقبلا. من هنا فإن هذه الرواية –ومعظم

روايات العشرية السوداء- كشفت لنا أن الاختلاف الثّقافي والفكري والدّيني لا يؤدي دائما إلى حالة من التّكامل والتّفاعل الإيجابي، خاصّة إذا ارتبط هذا الاختلاف بالتعصّب والتّطرف الديني. الأمر الذي يقتضي بروز أشكال من المقاومة الثقافيّة من أجل الحفاظ على مقوّمات الهويّة و ثوابت الوحدة الوطنية.

6. قائمة المراجع:

1- إدوارد سعيد، (2004)، الثقافة والإمبريالية، دار الآداب، ط3 ، (بيروت) لبنان.

2- إدوارد سعيد، (1997)، الثقافة والإمبريالية ، دار الآداب، ط1، (بيروت) لبنان.

3- آنيا لومبا، (2007)، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، (سوريا).

4- ياسمينة صالح، (2006)، وطن من زجاج، دار الاختلاف للنشر، ط1 ،(الجزائر).

5- فخري صالح، (2009)، إدوارد سعيد، دراسات وترجمات ، منشورات الاختلاف،ط1، (الجزائر).

6- ريطو طوكسانو، (2003)، مدخل إلى فلسفة إيمانويل لفيناس، تر: عز الدين الخطابي وإدريس كثير، منشورات اختلاف، الصخيرات، (د.ط)، (الجزائر).

7- إرفن جميل شك، (2003)، الاستشراق جنسيّا، تر: عدنان حسن، شركة قدمس للنشر،ط1، (بيروت) لبنان.

8- نهال مهيدات، (2008)، الآخر في الرواية النسوية، عالم الكتب الحديث، ط1، (عمان)، الأردن.

9- بول ريكور، (2006)، الزمان والسرد، تر: سعيد الغانمي و فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد،ط1، (بيروت) لبنان

10- محمد بو عزة، (2014)، سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، دار الأمان، ط1،(الرباط) المغرب

11- طارق بوحالة، (2016)، الرواية الجزائرية والنقد الثقافي، أشغال اليوم الدراسي حول السرد " فلسفة السرد "، كلية الآداب واللغات، جامعة برج بوعريريج، (الجزائر).

12- جابر عصفور، (1994)، هوامش على دفتر التنوير، المركز الثقافي العربي، ط1، (بيروت) لبنان.